

الانكليزية لغة العولمة والانترنت

الباحث: أ.م.د. فوزي هادي الهنداوي
كلية اللغات – رئيس وحدة الاعلام المعلوماتية

اصبحت اللغة الانكليزية اللغة العالمية الأوسع انتشاراً في العالم ، في حين لم تكن هذه اللغة معروفة جيداً خارج بريطانيا حتى النصف الثاني من القرن الثامن عشر (1)، ورافق هيمنة الانكليزية تسلل وتغلغل للقيم وطريقة الحياة الامريكية بجميع دلالاتها الصارخة .

وقد استغلت اللغة الانكليزية جو العولمة الاقتصادية والثقافية والتطورات التقنية في مجال الاتصالات وخاصة شبكة الانترنت افضل استغلال لتأكيد هيمنتها وتوسيع شبكة انتشارها وتقوية نفوذها في العالم اجمع . فما ان ادركت القوى الاقتصادية الامريكية الاهمية البالغة لموارد المعلومات في اقتصاد مابعد الصناعة (اقتصاد المعرفة) حتى اخذت تشد اسلحتها اللغوية تهيئة لصراع دولي متوقع على ساحة الثقافة، فلقد فتحت تكنولوجيا المعلومات الكثيفة لغوياً ، الباب على مصراعيه امام الولايات المتحدة لكي تجعل من شيوع اللغة الانكليزية رأس الحربة في تنفيذ مخططاتها لسيادة العالم معلوماتيا وثقافيا واقتصاديا . وتمارس الولايات المتحدة حالياً من خلال مؤسساتها الاعلامية والاقتصادية والتكنولوجية اساليب مبتكرة من الضغط اللغوي لا ترحم احدا عدواً أو حليفاً كبيراً ام صغيراً . وقد اصبحت اللغة الانكليزية الامريكية لغة الثقافة الكونية ، وحسب مصطلحات العولمة الثقافية فان (انكليزية الملكة) تزيد قليلاً عن كونها لهجة ذات الفاظ طنانة يستخدمها المعلنون الذين يرغبون في الوصول إلى المستهلكين الامريكين من الطبقات العليا الذين يتأثرون بها . وفي هذا الصدد تقول صحيفة نيويورك تايمز ان اللغة الامريكية (تقصد الانكليزية الامريكية) هي اهم صادرات امريكا قيمة ، ويقدر المجلس الثقافي البريطاني ان في العالم 1.5 مليار أي ربع البشرية يتكلمون الانكليزية(2).

ويبدو واضحاً أن العولمة تتطلب لغة مشتركة والانكليزية مرشحة لاحتلال هذا الموقع خاصة في الاوساط الاكاديمية والتجارية والدبلوماسية ، ففي بلد كالمانيا ينشر 98 بالمئة من علماء الفيزياء و 83 بالمئة من علماء الكيمياء ابحاثهم بالانكليزية ، وفي فرنسا البلد الذي يخوض معركة قومية للحفاظ على لغته ، نجد ان ثلثي الاوراق العلمية التي تنتجها الجامعات ومراكز البحوث الفرنسية تكتب وتنتشر باللغة الانكليزية ، واصبح اتقان الانكليزية شرطاً لاشغال الوظائف الدبلوماسية حتى في اوربا التي كانت ترفض هذه اللغة⁽³⁾.

وتصف عالمة السياسات الفرنسية دومينيك موازي هذه الحالة بقول موجز ينطبق على العالم بأسره حيث تقول (يتقلص وجود فرنسا في الخارج اكثر فأكثر بينما يتزايد ما هو اجنبي في فرنسا) وهكذا اصبحت الانكليزية الامريكية اللغة الاولى العابرة للقوميات في العالم في مجالات الثقافة والفن والعلوم والتكنولوجيا والتجارة والنقل والاعمال المعرفية . فعلى سبيل المثال تبلغ نسبة تعليم الانكليزية كلغة حية أولى في المعاهد الادارية الفرنسية 81 بالمئة من اجمالي تعليم اللغات الاجنبية فيها . ويعترف الكتاب الفرنسيون ان تعليم الانكليزية في فرنسا ودول اوربا اصبح مثل حصان طروادة لغرض الامركة الشاملة على الاوربيين لان اللغة هي اداة نقل لنتاجات وقيم مستوردة غربية .

وعلى الصعيد الاقتصادي تعد الانكليزية اللغة الرسمية للبنك المركزي الاوربي رغم انه يوجد في فرانكفورت ورغم ان بريطانيا ليست عضواً في الاتحاد الاوربي . كما ان اهتمام دولة كبرى مثل الصين بنشر اللغة الانكليزية بين الاطفال في المدارس حتى ينشأوا على اتصال ومعرفة بتطورات الحركات العلمية والتكنولوجية في العالم يمثل دليلاً اخر على سطوة واهمية الانكليزية مستقبلاً ، رغم ان الصين من اهم الدول التي تزاحم الغرب في كثير من مجالات البحث العلمي وفي انتاج البرامجيات ولغتها تأتي في مقدمة اللغات التي ينطقها اكبر عدد من البشر .

وفي البلدان الناطقة بالفرنسية يستعمل 70 بالمئة من الباحثين في تلك البلدان مصادر انكليزية صرفة ، ومن بين 615 بحثاً لم ينشر منها بالفرنسية غير 142 بحثاً فقط ، فنشر الابحاث العلمية والتخصصية باللغة الانكليزية شرط اساس لنجاحها ورواجها وحتى اكااديمية العلوم الفرنسية تنشر نتائج ابحاثها باللغة الانكليزية ، ذلك بحجة ضمان العالمية والنشر الواسع .

كذلك فإن اللغة الانكليزية هي لغة التدريس في مراحل الدراسات العليا في العديد من البلدان ، ففي هولندا مثلاً تقوم الدعوة إلى استبدال الانكليزية بالهولندية اللغة الام ، كما اقترحت الانكليزية كلغة تدريس في الجامعات الالمانية التي تنشأ في الخارج⁽⁴⁾. وتذكر مجلة (اتلانتك) ان الصين تقوم الان باعداد ألف معلم لتعليم اللغة الانكليزية لاطفالها ، وهو عدد له دلالاته ومؤشر على الاعتقاد ان الانكليزية مؤهلة لان تكون لغة العولمة المقبلة مثلما هي لغة الانترنت ، وتشير احصائيات إلى وجود اكثر من 50 مليون صيني يتكلمون اللغة الانكليزية⁽⁵⁾.

كما ان للانكليزية سطوتها الواضحة في مجال الاعلام والاتصالات عالميا حيث تؤكد الاحصائيات ان⁽⁶⁾ :

* 65% من برامج الاذاعات بالانكليزية .

* 70% من الافلام ناطقة بالانكليزية .

* 85% من المكالمات الهاتفية الدولية تتم بالانكليزية .

* 90% من الوثائق المخزونة بالانترنت بالانكليزية .

ولما كان بناء اية نظم فعالة للاتصال على المستوى الوطني لايمكن ان يكون مالم تستخدم وسائل الاعلام اللغات الوطنية ، ففي ظل هذه الحالة ستكون نظم الاتصال في البلدان الخاضعة للهيمنة اللغوية شبه مشلولة أو عاجزة عن تلبية متطلبات المجتمعات⁽⁷⁾ .

ومن المفارقات هنا ان منتقدي عصر المعلومات الجديد وهيمنة CNN و BBC يهاجمونها بالانكليزية ، وتلعب امريكا في اكثر من مكان في العالم ، من خلال وسائل الاعلام ، باللغة الانكليزية . كما ان الجدل الدائر حول أي من امريكا أو اليابان هي

التي استولت على الريادة الكونية يجري بالانكليزية ، مثلما ان هتافات المستمعين واغنيات الراي بالانكليزية ، وكثير ما تكون اعلانات السينما الفرنسية بالانكليزية ، حيث تمثل الانكليزية الامريكية للفرنسيين ما تمثله الانكليزية البريطانية للامريكيين(8).

وفي القرن العشرين ترسخ وجود اللغة الانكليزية بوصفها اللغة الثانية المفضلة في الدراسة بكل اصقاع العالم وتنامت بصورة متزايدة بعد نهاية الحرب الباردة 1989 - 1991 م .

وجاء هذا النمو على حساب اللغات الاوروبية خاصة الفرنسية والالمانية والروسية. وفي التسعينات استردت الانكليزية بعضاً من شعبيتها التي تزايدت عند اليابانيين والعرب وفي دول الشرق الاوسط المنتجة للنفط كقوة اقتصادية رئيسة في السبعينات .

وارتبط انتشار الانكليزية بالعولمة التي تستلزم التجانس اللغوي والتسوية الثقافية على حد سواء ، ويرى الاقتصادي ريتشارد ج. هاريس ان الانكليزية هي في الواقع اللغة المشتركة للاقتصاد العالمي مشيراً إلى اتساع استخدامها بين المراقبين وعلماء الاجتماع والانسانيات والنقاد والمراسلين الصحفيين ورجال الاعمال(9) .

ويعتقد الكثير من الاكاديميين والاعلاميين ان فقدان التنوع اللغوي وانعكاساته على الهوية اللغوية والثقافية مرتبط بالانتشار العالمي للغة الانكليزية المرتبط بمدنية ترى بشكل واسع انها تتحاشى المعتقدات مستبدلة الايمان بالتكنولوجيا .

وعلى الرغم من كل الاصوات المنادية بضرورة ايقاف هذا الزحف اللغوي واعادة التوازن إلى المشهد اللغوي العالمي للحفاظ على التنوع الثقافي في العالم الا ان حركة

العولمة المتنامية وما يصاحبها من ثورة رقمية هائلة سائرة في طريق اللا عودة ما ينذر بخطر وقوع كارثة ثقافية ستهدد الاجيال المقبلة بفقدان هويتها الثقافية ولغاتها الوطنية وبالتالي نمطها الحضاري وطريقة تفكيرها ونظرتها لنفسها وللعالم ، بعد ان افضت العولمة إلى سيادة لغة الدولة المهيمنة في العلاقات التجارية والاقتصادية وما يستتبع ذلك من سيادة ثقافتها وقيمها الخاصة .
ومعنى ذلك تهميش اللغات والثقافات الوطنية واحتواؤها واستتباعها كمدخل لاستتباعها اقتصاديا وثقافيا .

وتحذر اليونسكو من حقائق مفرغة عن الوضع العالمي للغات البشرية ، فنصف لغات العالم البالغة 6 الاف لغة مهددة بالانقراض ، ومعدل الانقراض في تسارع متزايد حتى وصل هذا المعدل إلى انقراض لغة كل اسبوعين⁽¹⁰⁾. وستظل ظاهرة هيمنة اللغة الانكليزية وما يصاحبها من حركة انقراض للغات الوطنية والمحلية الاخرى تشغل بال واهتمام الدول والافراد والمؤسسات الدولية والاقليمية والمفكرين والعلماء والاكاديميين في معظم ارجاء العالم لأنها تمس العصب الحساس للجنور الحضارية والثقافية القومية مثلما ستظل المساعي الحثيثة لوضع الحلول والبدائل والستراتيجيات المناسبة والخيارات المطروحة للعلاج مستمرة .

هيمنة الانكليزية على شبكة الانترنت

تميزت شبكة الانترنت عن غيرها من التكنولوجيات المؤثرة في صياغة المجتمع الانساني بسرعة نزع قناعها التقني لتكشف عن مغزاها الثقافي بصفتها ساحة ثقافية في المقام الاول ، بجانب كونها بنية تحتية لصناعة الثقافة . فهذه الشبكة قد تعاملت مع جميع عناصر المنظومة الثقافية سواء بوصفها - أي الثقافة - تراثاً وطنياً أو ابداعاً وتعبيراً أو منتجة للسلع والخدمات والاصول الرمزية ، اضافة إلى ذلك تساهم الشبكة في تشكيل وعي الفئات الاجتماعية وتلعب دوراً حيوياً في تكامل منظومة

الثقافة مع منظومات التربية والاعلام والاقتصاد ، والا هم من ذلك كله ان هذه البنية المعلوماتية توفر بيئة مثالية لحوار الثقافات والتهجين الثقافي .
لقد اصبحت الثقافة علماً قائماً بذاته تساهم فيه فروع علمية مختلفة على رأسها علم الانثروبولوجيا الرمزية وعلم اجتماع المعرفة وكلاهما ذو صلة وثيقة بالمعلومات ، فالانثروبولوجيا الرمزية تطبق الاسس اللغوية والمنهج البنيوي الذي يركز هو الآخر على اللسانيات في تحليل التراث الثقافي ان المجتمع لا تشكله السياسة والاقتصاد بقدر ما يشكله نظام التواصل السائد بين الافراد والجماعات والمؤسسات ، وقد جاءت تكنولوجيا المعلومات لتزيد هذا المفهوم رسوخاً .

وتعد المنظومة اللغوية من اهم عناصر نظام التواصل والاتصال الانساني التي تأثرت بظهور تقنية الانترنت وتطورها الفائق وهيمنتها على معظم النشاطات الثقافية والفكرية في العالم . فاللغة باتت تلعب دوراً اكثر خطورة عن ذي قبل بسبب محورية الثقافة في منظومة المجتمع أو محورية اللغة في منظومة الثقافة .

ونتيجة لذلك اصبحت معالجة اللغة آلياً بواسطة الحاسوب هي محور تكنولوجيا المعلومات ، خاصة ان اللغة هي المنهل الطبيعي الذي تستقي منه هذه التكنولوجيا اسس ذكائها الاصطناعي والافكار المحورية بلغات البرمجة .

مع هيمنة الولايات المتحدة على عالم الاعمال والتكنولوجيا وبروز تقنية الانترنت ثم انتشارها الهائل في العالم بدت اللغة الانكليزية مرشحة لان تلعب دوراً محورياً في العالم بعد ان اصبحت لغة مستخدمي الانترنت الذين تتجاوز اعدادهم الـ 1.6 مليار

شخص على مستوى دول العالم ولغة ثانية لرواد الشبكة العنكبوتية في البلدان غير الناطقة بالانكليزية⁽¹¹⁾ .

يرى بعض خبراء اللغات ان الانكليزية تحولت إلى لغة عالمية ، وسوف تنجح فيما اخفقت فيه لغة اسبيرانتو فالانكليزية الآن هي اسبيرانتو الامر الواقع حسب وصفهم⁽¹²⁾ .

واصبحت الانترنت اداة لهيمنة ثقافات معينة على اخرى بعد ان سيطرت الانكليزية يضاف اليها لغة أو لغتان غريبتان اخريتان على معظم مدخلات ومخرجات الشبكة العالمية .

ويتحدث الانكليزية الان اكثر من مليار انسان كلغة ثانية أو اساسية ، ومع نمو الانترنت وتزايد مغرياتها وانخفاض تكاليف الاشتراك بها بدأ استخدامها يمتد إلى عامة الناس في كل مكان ، ويتوقع ان تنتشر كالتلفزيون خلال الاعوام العشرة المقبلة وربما أقرب من ذلك . ومع هذا الانتشار الواسع للشبكة بدلت هيمنة الانكليزية بالتزايد ، ولقد بات واضحاً مع هذا الانتشار موقفاً صعباً على جبهة اللغة ، فهو اما ان يتمسك العالم بتعددلغاته ، وما ينطوي عليه ذلك من صعوبة التواصل واعاقة تبادل المعلومات والمعارف ، أو ان تتوحد لغات العالم في لغة قياسية واحدة هي الانكليزية في اغلب الظن وساعتها تكون قد حلت بالبشرية الطامة الكبرى على حد تعبير احد مدراء منظمة اليونسكو⁽¹³⁾ .

وتعكس الانترنت صورة قاتمة للتنوع اللغوي حيث تفاقمت ظاهرة الانقراض اللغوي ، ومن اهم اسبابه حالياً : طغيان اللغة الانكليزية على مساحة المعلوماتية من حيث معدل انتاج الوثائق الالكترونية وحجم تبادلها ، فالانكليزية هي اللغة التي تتعامل معها البرمجيات والآت البحث عبر الانترنت ، ناهيك عن المطبوعات المتعلقة بالجوانب المختلفة لتكنولوجيا المعلومات من أدلة تشغيل ومكانز ومعاجم ومسردات ومواصفات فنية وثقافية وعلمية وكتب مدرسية وغير مدرسية من مستوى الاطفال حتى اعلى مستويات التخصص الفني .

واجمالاً فان اللغة الانكليزية تحتل اربعة اخماس خارطة شبكة الانترنت على مستوى العالم ، فيما تكتفي بقية اللغات مجتمعة بالخمس الباقي . اما على الصعيد القاري فان اللغات الاوربية بما فيها الانكليزية تمثل 75 بالمئة من محتوى الانترنت أي ثلاثة الارباع ، فيما حصة اللغات الاخرى مجتمعة لا تزيد عن الربع أي 25 بالمئة⁽¹⁴⁾ .

وتشير احصائيات عام 2008 إلى ان اللغة الانكليزية مازالت تتصدر الشبكة العالمية بنسبة 32.2 بالمئة حيث تجاوز عدد المستخدمين للشبكة من خلالها 996 مليون مستخدماً ، في حين جاءت اللغة الصينية في المركز الثاني بعدد مستخدمين بلغ 184 مليون مستخدماً .

وفيما يتعلق باللغة العربية كشفت احداث الاحصائيات على الانترنت ان مستخدمي الشبكة الذين يجيدون العربية تقدموا إلى المرتبة الثامنة عالمياً ضمن اللغات العشر الاكثر استخداماً للشبكة بينما كانت العربية تقع في المركز العاشر والآخر ، فيما بلغت اعداد المتحدثين بها اكثر من 350 مليون واعداد المستخدمين للشبكة نحو 46 مليون .

ويلاحظ ان عدد المتحدثين بالعربية يفوق العديد من اللغات وبنسبة كبيرة مثل اللغة البرتغالية التي تمثل المرتبة السابعة وكذلك الالمانية واليابانية . وهذا يدل على ان مستخدمي الانترنت ممن يتحدثون العربية بإمكانهم ان يتقدموا مراكز افضل من المستقبل . وقد اصبحت اللغة العربية من اللغات الرئيسية على الشبكة العالمية اثر الموافقة العالمية على كتابة عناوين المواقع بها إلى جانب 10 لغات اخرى لتتويج بذلك احتكار الحروف اللاتينية لهذا المجال . وتقيد ارقام موقع احصائيات الانترنت ان نسبة مستخدمي الشبكة بالعربية قد تجاوزت الـ 94.5 بالمئة ما بين عامي 2005 - 2007 حيث بلغت اعدادهم اكثر من 28 مليون مستخدم من اجمالي الذين يتحدثون العربية ويستخدمون الانترنت البالغ عددهم 34.5 مليون . ووفقاً للاحصائيات تعد العربية الاكثر تحسناً بين اللغات من حيث عدد المستخدمين حيث تضاعفت اعدادهم بنسبة 94.5 % أي بحوالي 10 اضعاف ما بين عامي 2000 - 2007⁽¹⁵⁾ .

ومع انتشار ظاهرة تعددية لغات الانترنت ، ظهرت الحاجة إلى استخدام لغات اخرى غير الانكليزية ، وقادت بلدان جنوب شرق اسيا والباسفيك حملة المطالبة بضرورة تعددية اللغات عبر الشبكة واستجابة لهذه الحملة اقرت هيئة الـ ICANN تدويل عناوين الانترنت باستخدام ما يعرف بـ UNICOOE الذي يسمح باستيعاب معظم لغات العالم⁽¹⁶⁾ .

ومما يدعو إلى التفاؤل ان هذه الخطوة تنبئ بتحريك الانترنت صوب مزيد من التوازن اللغوي بعد الاختلال الشديد الناجم عن الهيمنة شبه الكاملة للغة الانكليزية الذي شهدته مرحلة بداية الشبكة العالمية .

ومع ذلك يظل الوضع اللغوي على الانترنت قائما فضمن الـ 6 الالف لغة في العالم ، هناك 500 لغة فقط ممثلة على الشبكة ومعظمها ذو وجود ضعيف للغاية ماينذر بهوة لغوية (Linguistic divide) تحت الصنع تفصل بين لغات دول العالم المتقدمة والنامية غير القادرة على مساندة لغاتها في المعركة اللغوية الطاحنة عبر الانترنت . ولقد جعلت شبكة الانترنت شعوب العالم اكثر وعياً بطغيان الانكليزية حيث كشفت عنه بصورة سافرة⁽¹⁷⁾.

ان من اخطر مظاهر طغيان اللغة الانكليزية على ساحات المعلومات هي تلك المتصلة بالبرمجيات حيث يتم معظمها بالانكليزية ، وغالبا مايكون ذلك بهدف تلبية مطالب المتعاملين بهذه اللغة اصلاً . وكما هو معروف تقدم هذه البرمجيات عادة شركات امريكية تركز ستراتيبياتها على ربط الاسواق العالمية بالسوق الامريكية . ويرى خبراء ومفكرون ان النخب العلمية والثقافية والتقنية والصناعية والتجارية سوف تستمر في التعامل مع الانترنت ككيان عالمي مفتوح ، وستبقى الانكليزية لغة الاتصال الاساسية فيها ، وسيزداد الاقبال على تعلمها في هذه الاوساط مثلما يرجح ان تتحول الانترنت إلى جزر قومية معزولة بالنسبة إلى عامة الناس إلى ان تنتضج تقنيات الترجمة الالية بين اللغات .

وهناك من يرى ان طغيان الانكليزية الحالي في انحسار ، فبينما مثلت الانكليزية في بداية ظهور الشبكة مايزيد على 95 بالمئة من حجم البيانات المتبادلة تراجعت هذه النسبة إلى ما يقرب من 80 بالمئة حالياً ، وهناك من يتوقع ان تفقد الانكليزية وضعها المعلوماتي المميز بحلول عام 2015 بسبب تنامي حضور اللغات الاخرى على الشبكة العالمية⁽¹⁸⁾.

الهوامش

1. أسابريفر وبيتر بورك : مرجع سابق ، ص 52 .
2. تنظر: صحيفة نيويورك تايمز : مقال بعنوان : العولمة وتعليم الانكليزية ، 2000/1/14.
3. د. احمد ابو زيد : مرجع سابق ، ص 17.
4. بنجامين باربر : عالم ماك – المواجهة بين التأقلم والعولمة ، ترجمة :احمد محمود (القاهرة : المجلس الاعلى للثقافة ، 1997) ، ص 99 .
5. د. احمد ابو زيد : مرجع سابق ، ص 18.
6. د. نبيل علي : الثقافة العربية وعصر المعلومات ، مرجع سابق ، ص 171 .
7. عواطف عبد الرحمن : قضايا التبعية الاعلامية والثقافية في العالم الثالث ، (الكويت : المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب ، 1984) ، ص 71.
8. بنجامين باربر : مرجع سابق ، ص 105 .
9. للمزيد حول العلاقة بين الاقتصاد واللغة ينظر : فلوريان كولماس : اللغة والاقتصاد ، ترجمة : أحمد عوض ، عالم المعرفة ، (الكويت : المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب ، 2000) .
10. UNESCO , Red book on Endangered , Languages , Pairs , 2004.
11. د. نبيل علي : الفجوة الرقمية ، مرجع سابق ، ص 311 .
12. للمزيد حول لغة الاسبرانتو ينظر : مصطفى المصمودي : النظام الاعلامي الجديد (الكويت ، سلسلة عالم المعرفة ، 1985) ص 208 .
13. د. نبيل علي : الفجوة الرقمية ، مرجع سابق ، ص 311.
14. تنظر : الجداول الملحقة بالكتاب المتعلقة بتوزيع اللغات العالمية على شبكة الانترنت والمصدر هو :
الموقع الالكتروني للاحصائيات العالمية للانترنت Internet World Stats كانون الثاني / يناير ، 2009 .
15. اليونسكو : الكتاب الأحمر : دراسة عن انقراض اللغات ، ط 2 ، (باريس : 2003).
16. د. نبيل علي : الانترنت مقبرة اللغات ام بستانها ، مرجع سابق.
17. محمد القدوسي ، مرجع سابق .
18. ينظر: ملحق وثيقة التزامات تونس – القمة العالمية لمجتمع المعلومات ، مرجع سابق.